وقفة مع

توفيق شومر

تعلّمتُ الكثير من الجاحظ والسرخسي

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه. «قدّرتُ منذ البداية أهمّية إعادة قراءة التراث الفكري العربي برؤية مختلفة»، يقول الباحث الأردني في حديثه لـ«العربي الجديد»

توفيق شومر

عمّان ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيّام؟

هناك انشغالان محوريّان يبقيان معي دوماً، وأحاول أن أُنجزَهما: الأول ينطلق من الهمّ الفلسفي اليومي في الأردن ويتمحور حول تعميم تدريس الفلسفة في التدريس العام. وهذا الهمّ قد قطعت به أنا ومجموعة من الزملاء طريقاً طويلاً، ووصلنا الآن إلى تحقيق إنجازات مهمّة فيه. بدأت النجاحات منذ تبنّت «الجامعة الأردنية» تدريس مادّة «مقدّمة في الفلسفة والتفكير الناقد» كمتطلب إجباري لجميع الطلبة، وبدأ تدريسها منذ عام 2017. والنجاح الثاني في إعادة تدريس الفلسفة في المدارس الأردنية، وهذا وصل إلى اقتراب تحقيقه، مع موافقة لجنة الدراسات الاجتماعية واللجنة العليا للمناهج على الدفع بمشروع تحديث منهاج الدراسات الاجتماعية إلى اللجنة العليا للتربية والتعليم، والمؤشّرات كلّها تقول إن المشروع سيُقرّ. ويشتمل المشروع تضمين المفاهيم الفلسفية في منهاج الدراسات الاجتماعية المتكامل من الأول إلى الثامن، ثم تُخصّص وحدة كاملة للتفكير الناقد والإبداعي في منهاج التربية الوطنية للصف التاسع، ووحدة كاملة في منهاج الصف العاشر حول المنطق، كما يُخصّص كتاب كامل إلزامي لجميع الفروع في المدارس لمقدمة في الفلسفة للصفّ الحادي عشر، على أن تكون مادة الفلسفة اختياريّة لجميع الطلبة بجميع الفروع في مرحلة التوجيهي، أي الصف الثاني عشر. وعند إنجاز هذا المشروع، سيُجرى التواصل مع الجامعات الأردنية بهدف تعميم تجربة «الجامعة الأردنية» لتدريس مادّة «مقدّمة في الفلسفة» لجميع الطلبة الجامعيين في الأردن. الهمّ الآخر يتمحور حول مشروعي الفلسفي الذي بدأته في مرحلة الدكتوراه، وهو مشروع يحاول أن يوافق بين الماركسية والظاهراتية (الفينومينولوجيا)، وهو المشروع الذي أسميته الواقعية الظاهراتية، وتهدف هذه الفلسفة إلى وضع الإنسان داخل الوجود في احتكاك جدليّ مع هذا الوجود وكجزءٍ منه لا يمكن أن ينفصل عنه أو ينظر إليه من خارجه، فالإنسان داخل الوجود وهو جزءٌ لا يتجزّأ من هذا الوجود، ينفعل به ويتفاعل معه ويفعل به، وقد وصلت إلى المشروع من خلال اعتراكي مع مشكلات فلسفة العلم، فكانت رسالتي للدكتوراه (وكتابي الأول) حول الواقعية الظاهراتية والموصلية الفائقة وميكانيكا الكم (باللغة الإنكليزية)، ولكنني في ما بعد طوّرتُ جملةً من الأفكار الفلسفية التي تتجاوز فضاء فلسفة العِلم، وعليه، فمنذ ذلك الحين أحاول أن أنظّم الحجج المناسبة للتعبير عن جملة الأفكار هذه والتي تنظر إلى الإنسان والعالم. وحالياً أعكف على إنجاز كتابي الأهم الذي أحاول من خلاله أن أعرض لهذه الفلسفة بتفاصيلها، فأضعُ نقاط التوافق والاختلاف مع المواقف الفلسفية الأخرى. كما أعمل الآن على كتابة هذا الكتاب باللغتين العربية والإنكليزية تحت عنوان «الظاهراتية.. من التعالي إلى الواقعية».

■ ما هو آخر عمل صدر لك؟ وما هو عملك القادم؟

صدر لي مؤخراً كتاب «الفلسفة والعلم» من إصدارات وزارة الثقافة الأردنية، ضمن مشروع «الفلسفة للشباب»، والذي يهدف إلى تعميم المفاهيم الفلسفية للشباب الأردني. ويتناول مفردات فلسفة العِلم ومصطلحاتها ويستعرض الموقف من قضية المنهج في العلم، ويتطرّق إلى العِلم وعلاقته مع قضيّة الذات والموضوع والإشكالات المرافقة لهذه القضية، ويتعرّض أيضاً لمفهوم الحقيقة في العِلم. وحاولت أن أبسّط عرض هذه النقاط، من دون أن أخلّ بالمضمون أو بموقفي الفلسفي من تلك القضايا الشائكة. وهناك كتابان قد انتهيت منهما؛ الكتاب الأول «المجتمع المدني والديمقراطية» بالتعاون مع الباحث رياض صبح، ويستعرض قضايا المجتمع المدني بشكل نقدي، ونتطلّع إلى إشكاليات الديمقراطية بهدف الوقوف على النمط الذي يمكنه أن يعبّر عن تطلعاتنا، لا ذاك المفهوم الملقى علينا، وعليه كان لا بدّ من التطرّق إلى مفهوم حقوق الإنسان وإشكالاته. والثاني كتاب منهجي في «المنطق الرمزي»، أحاول خلاله أن أقدّم المنطق الرمزي بشكل مبسّط مع الكثير من التمارين والحلول التي ستساعد القارئ على استيعابه، لا على أنه منطق رياضي منعزل إنّما بكونه منطقاً يمكن تطبيقه، وأفردتُ فيه فصلاً لأشكال المنطق المعاصر الأخرى، تلك التي يمكنها أن تتجاوز بعضاً من إشكاليات العلاقة بين المنطق الرمزي والعالم المعيش.

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك؟ ولماذا؟

هذا مطلب صعب المنال من إنسان يؤمن بالسيرورة والصيرورة، لكن أستطيع أن أقول إنني لم أندم إلى الآن على منجزٍ من منجزاتي، وما زلت أتبنّى مواقفي التي عرضتها في كتاباتي مع بعض التعديلات هنا وهناك، أو مع الانتقال إلى مستوى أعلى من الطرح. أما عن الطموحات وعمّا يجب أن يكون، فهذا أيضاً معضلة، فالمسؤوليات الإدارية والأكاديمية والعائلية تستغرق من أيّ باحث بشكل عام، ومني بشكل خاص، الكثير من الوقت، ما يترك الوقت المخصّص للبحث والكتابة أقلّ مما يجب أن يكون. ومع ذلك، فمن عنده همّ الفلسفة يحاول دائماً أن يهيئ الوقت للإنجاز والكتابة.

■ لو قيّض لك البدء من جديد أيُّ سبيلٍ ستختار؟

أنا مرتاح ومتصالح مع نفسي ومع ما قدّمته في حياتي، لا أستطيع القول إنه ليس هناك ما يستحقّ المراجعة والوقوف عنده، أو إنه ليست هناك أخطاء في سيرتي المهنية، لكنني أعتقد أن هذه الأخطاء هي أسلوب آخر للتعلّم ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى أيّ مكان من دون أن يتعلّم. لقد اخترت خياراتي بوعي كامل، وأنا سعيد بما وصلت إليه، وما زال هناك ما يجب عمله والاهتمام به.

> يُحاول من لديه همّ فلسفي أن يهيئ الوقت للإنجاز والكتابة

> التغيير المنشود هو عودة العرب ليكونوا منتجين للمعرفة

■ ما هو التغيير الذي تنتظره وتريده في العالم؟

التغيير المنشود هو عودة العرب ليكونوا كما كانوا دوماً، منتجين للمعرفة ومساهمين أساسيّين في بناء المعرفة الإنسانية. ويترافق هذا مع العمل نحو عالم عادل وإنساني يزول منه الظلم والهيمنة الإمبريالية؛ عالم يشعر فيه الإنسان بوجوده ويستطيع أن يعبّر عن هذا الوجود، عالم خالٍ من الحروب. سيبدأ الحل لمشاكل البشر عندما يدركون أنهم مختلفون، وأنه من غير الممكن أن يجتمعوا على رأيّ واحد مهما كان هذا الرأيّ سليماً، فلا يمكننا أن نفرض آراءنا على الآخرين كما لا يمكن للآخرين فرض آرائهم علينا، لكننا يجب أن ندرك أيضاً أننا إذا استمررنا في هذه البربرية المفروضة علينا فإننا هالكون لا محالة، وكما قالت روزا لوكسمبورغ: «إما الاشتراكية وإما البربرية...». أما على المستوى العربي، فقد قدّرتُ منذ البداية قيمة إعادة قراءة التراث الفكري العربي برؤية مختلفة، وأن تجرى قراءته منهجياً لا معرفياً فقط. فالعالم اليوم يحتاج إلى فتح آفاق المعرفة مرّة أخرى، وهذا يحتاج لبحث في منهجيات التفكير وكيفية التلقّي للمعلومة، وكيفية انكشاف الوجود لنا، فالموضوع يتعدّى الكشف إلى الانكشاف ومنهجيات هذا الانكشاف.

■ شخصيّة من الماضي تودّ لقاءها ولماذا هي بالذات؟

لقد تعلّمت الكثير من خلال قراءة كتب جمهرة من المفكّرين العظام، وتحديداً على المستوى العالمي. هناك كارل ماركس وفردريك إنجلز ومارتن هايدغر وأنطونيو غرامشي وموريس مارلو بونتي وروزا لوكسمبورغ وغاستون باشلار، أما من تراثنا، فقد تعلّمت الكثير من الجاحظ والقاضي عبد الجبار والسرخسي، ولكن لو خيّرت أن ألتقي بواحد منهم فقط، والاختيار مجحف ومخيف هنا، فقد يكون خياري الأول هو موريس مارلو بونتي، فهو أول من تمكن من الجمع بين الماركسية والظاهراتية، وهو النهج الذي حاولت تطويره من خلال اقتراحي لما أسميته الواقعية الظاهراتية.

النص الكامل على الموقع الالكتروني

بطاقة

أكاديمي وباحث أردني، حاصل على دكتوراه في فلسفة العلوم من «جامعة لندن للعلوم الاقتصادية» عام 1996، ويعمل حالياً أستاذاً في قسم الفلسفة بـ«الجامعة الأردنية». من بين مؤلّفاته: «مهارات العصر الرقمي» (2008)، و«المراقبة والتقويم للمشاريع التنموية» (2010)، و«مهارات التفكير» (2011)، و«الواقعية الظاهراتية للموصلية الفائقة وميكانيكا الكم» (بالإنكليزية، 2013/ الغلاف)، و«الفلسفة والعلم» (2021).

إطلالة

هجرة النصوص وإقامتُها

جنسية الترجمة

لا غرو أن الترجمة تمنح الأصل جنسية جديدة، تكاد تُنسيناً الأصل، مثلما حدث مع كتابَيْ «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة» اللذين نُسبا إلى ثقافتنا

مزوار الإدريسي

قدّمت الفيلسوفة الألمانية حنّا آرنت، في مقالها «نحن اللاجئين»، الذي ترجمه المفكّر فتحي المسكيني إلى العربية، صورةً طريفة لشخصٍ يهودي حقيقيّ، هو الألماني كوهن، ذلك المهاجر المثالي الذي يحيا في ارتحال دائم من بلد إلى آخر، يقوده إليه قدرُه الرهيب. فمِنْ برلين انتقل مُجبَراً إلى التّشيك، ليصير وطنياً تشيكياً خالصاً، وتحوَّل مُكرَهاً إلى فيينا، هرباً من اضطهاد النازيين، ثم مرَّ إلى باريس وقد هيَّأ نفسَه للتكيُّف مع فرنسا، ليكشِفَ عن نفس مُضطرّة إلى الاندماج أو التكيُّف مع بلد إقامته الجديدة، وأنْ يَعمد فور حلوله بالبلد الجديد إلى الإلقاء «ببصره على الفور إلى جبال الوطن فيُحبّها».

تَعْرض سرديةُ اليهودي كوهن استعارةً تَصْدق على الترجمة إلى حدّ بعيد، لكنْ بعد تمريرها عبر قناة الأدب تحديداً، نظراً للعلاقة الوثيقة بين الأدب والترجمة بصفتها أدباً صغيراً؛ فالذي لا يخفى هو أنّ العمل الفنّي، مَهْما بلغ من كمال، فإنّ ذلك لا يَقيه من التحوُّل والتغيّر، لأن الأصل في الآثار الفنية، خصوصاً الأدبية منها، هو تعرُّضها إلى تغيُّرات متواصلة ضمن سيرورة التحوُّلات التي يقتضيها الحضور في التاريخ. والأكيد أن الترجمة هي إحدى تلك المغامرات التي يخوضها النص الأدبي، الذي يُبرز استعداداً طبيعياً، منذ لحظة خروجه إلى الوجود، لكي يغدو جاهزاً لأنْ يُقرأ، أو ليُمثَّل مَسرحياً وسينمائياً... بمعنى أنه يَنخرط في سيرورةٍ تَفرض عليه تحوُّلات وتجاربَ متنوّعة، لعلّ من أبرز تجلّياتها الحلولَ ضيفاً على غير أهله الأصليين، وهو ما يعني أنه يخوض تجربة الهجرة، على غرار ما تذهب إليه بعض الكتب والأبحاث، التي لم تتردَّد في سَبْغ هذا النعت عليه.

والواقع أن الترجمة، إذا كانت هجرة، فالأكيد أنها ليستْ لجوءاً، لاعتبارٍ جليٍّ، وهو أنّ اللجوء فِعلٌ اضطراريٌّ ينمّ عن رغبة في النجاة للإفلات من الاضطهاد أو الموت أو غيرهما، لذلك يَظَلّ المعنيُّ به مدفوعاً إلى البَحث عن ملاذ آمن، للحفاظ على ذاته، وليَقينِه في الوقت ذاته بأنه مَحلّ ارتياب حيثما حَلّ، ممّا يُفوِّتُ عليه فرصة الاندماج في المجتمع المُضيف.

ونقيض ذلك حال الترجمة بصِفتها وافدةً أولاً، وتفاعُلاً إيجابياً مع الثّقافة المُضِيفة ثانياً، لكونها ترى في تحوُّلها فرصة لخوض تجربة أخرى، وفي إقامتها ـ بصفتها وافدة ـ فرصةً لاستئناف الحياة مجدَّداً، فتَكونُ في صورتها الوافدة، وبفلسفتها المندمجة، تجسيداً واضحاً لعقيدة الأمل، وتعبيراً صارخاً عن الإيمان بالتفاؤل، لأنها لا تَصدُر عن إحساس بالخسارة أو الخيانة أو طلَباً للحماية، طالما أنها تعي أن أصلَها لن يخسر موقعه بتاتاً، بل إنه سيربح موقعاً جديداً في فضائه الثقافي الجديد، حيث يطمح إلى فتح مَسير جديد لذاته. لا يخفى أن الترجمة، بصفة عامة، تَنحو إلى أنْ تُخرجَ أصْلَها متَكيِّفاً مع الثقافة المستقبلة، وذلك بإيعاز من دور النشر التي يهمُّها القارئ والإقبال على الكتاب، وكثيراً ما يتبنى معظم المترجمين الاستراتيجية ذاتها، ليتخلَّق النَّص الأصل في غير تُربته ولغته، فيَبدُوَ نصّاً طبيعياً وقادراً على أن يُنسيَ القارئَ أنه مترجمٌ في الأصل. لا غرو أن الترجمة تَمنح الأصلَ جنسية جديدة، تكادُ تُنسيناً حتى مؤلِّفه الأصلي، مثلما حدث مع كتابَيْ «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة»، اللّذين نُسبَا في عالمنا العربي إلى ثقافتنا، لأن نجاح الترجمة في التكيُّف، وفي الاتّصاف بالانسيابية، توهِم القارئ بأنه ما كان للأصل إلّا أن يأتي على شاكلة ما بين يديْه.

> الأصل في الآثار الأدبية هو تعرُّضها إلى تغيُّرات متواصلة

ولعلّ الصورة أعلاه تجد مطابقها في وصف حَنّا آرندت ليهوديّ آخر، وَفد على فرنسا، وخَطب في إحدى الجمعيات قائلاً: «'لقد كنّا ألماناً جيِّدين في ألمانيا، وبناءً عليه سوف نكون فرنسيين جيِّدين في فرنسا'. صفّق الجمهور بحماسة، ولا أحد ضحك من الأمر؛ كنّا سعداء بكوننا تعلّمنا كيف نثبت أننا مخلصون».

(مترجم وأكاديمي من المغرب)

محمود عُبيدي (العراق)، مواد مختلفة على قماش، 2020

وثائقي

أرشيمبولدو فنّان معاصر من القرن السادس عشر

وجوهٌ مألوفة واسمٌ مجهول

يبني المخرج بُنوا فيليتشي فيلمه «أرشيمبولدو: بورتريه فنّان جَسور» على المفارقة التي حكمت سيرة الرسّام الإيطالي: شُهرة أعماله، لا اسمه

زائرة أمام سلسلة «الفصول الأربعة» لـ أرشيمبولدو، خلال معرض «فريز ماسترز للفنون» في لندن، تشرين الأول/ أكتوبر 2013 (Getty)

باريس ـ **العربي الجديد**

الصورة مألوفة، لا الاسم. إذا قلنا أرشيمبولدو أمام أحدهم، غالباً لن يحرّك الاسمُ فيه شيئاً. أمّا إذا وصفنا له لوحاتٍ مركّبة من فاكهة وسنابل يابسة وخضروات، من حيوانات وجذوع أشجار وأوراق نباتات، من شمعداناتٍ وجمْرٍ وكتب، جُمعت فوقَ وجنبَ بعضها لترسم، في المحصّلة، بورتريهاتٍ بملامح، فقد يعرف المرء حينها عمّا نتحدّث. سيعني له المشهدُ شيئاً، من دون أن يستطيع، رغم ذلك، قولَ شيءٍ كافٍ حول هذا التشكيلي الإيطالي. جهلٌ شِبه عامٍّ به وبتجربته ينطبق، كما يبدو، حتى على كثير من الفنّانين، ليس عندنا فحسب، بل أيضاً في أوروبا. يبني المخرج الفرنسي الإيطالي، بُنوا فيليتشي، فيلمه الوثائقيّ «أرشيمبولدو: بورتريه فنّان جَسور» (يُعرَض حالياً على تلفزيون وموقع «آرته» الفرنسي الألماني)، انطلاقاً من هذه المفارقة. بل يمكن القول إن الخيط الناظم لفيلمه هو مُحاولة فهم هذه المفارقة: كيف يمكن لفنّان أثّر في أجيال من التشكيليين الأوروبيين، عبر عدّة قرون، أن يكون شبه منسيّ وشبه مجهول؟ الإجابة على هذا السؤال تكاد تكون واحدةً لدى نقّاد الفنّ ومؤرّخيه، وكذلك القيّمين الفنّيين، الذين يحضرون في الفيلم. جميعهم يعتقد أن أرشيمبولدو كان، بمعنى ما، ضحيّة جسارته، وغرابة عوالمه، واختلافه إلى حدّ كبير عن مجايليه من فنّاني القرن السادس عشر. فلوحاته، المبنية من تركيبات غريبة، وربما مضحكة، بدت لدى نقّاد زمانه أقرب إلى السخرية والتسلية منها إلى عمل جدّي يستحقّ التوقّف عنده. تجاهلٌ متكرّر سيُدخل الفنّان الإيطالي في قرون من الغياب، قبل أن يعود إلى الأضواء في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بالتزامن مع ظهور عدد من مدارس الفن الحديث. عودةٌ لم تقدّمه كفنّان «قديم»، كلاسيكي، ينتمي إلى عصر مضى، بل كتشكيليّ معاصِر.

> يؤرّخ نقّادٌ لبدايات التكعيبية مع بعض لوحات أرشيمبولدو

هذا على الأقل ما اعتقده السرياليون ـ مثل سلفادور دالي، وماكس إرنست، ومارسيل دوشامب ـ الذين رأوا فيه تجربةً طليعية سعوا إلى مُحاكاتها. كما أن عدداً من النقّاد يرى أنه يمكن التأريخ لبدايات التكعيبية مع بعض لوحات أرشيمبولدو، ولا سيّما تلك التي تحمل اسمَ «المكتبيّ» (أو أمين المكتبة)، والتي يخرج فيها عن التكوينات والأبعاد التقليدية التي كان يعتمدها رسّاموا زمانه. كلّ هذا يدفع مؤرّخة الفن سيلفي فيرينو ـ باغدين إلى القول، أمام عدسة بُنوا فيليتشي، إنّ شخصاً لا يعرف هويّة التشكيلي الذي رسم لوحةً مثل «المكتبيّ»، قد يعتقد أنها رُسمت خلال القرن الماضي، لا قبل أكثر من أربعة قرون. يتنقّل الفيلم بين الاستقبال الحديث والمعاصر لأعمال أرشيمبولدو، وبين سيرته، وهو المولود منتصف القرن السادس عشر، في ميلانو، التي كانت حينها من أغنى مدن البسيطة. ولعلّ الأبرز في هذا السياق هو تأثُّره، في شبابه، بأعمال ليوناردو دي فينشي، الذي كان قد تُوفّي قبل عقدين من ولادة أرشيمبولدو، والذي عمل زمناً في ميلانو وترك فيها العديد من دراساته واسكتشاته التي كان يرسم فيها تضاريسَ ووجوهاً وأجساداً بتقاسيم وأبعاد غير طبيعية، قريبة من الكاريكاتير. آثارٌ سيلتقط أرشيمبولدو منها، كما يخبرنا الفيلم، بذرةَ رؤيته الفنّية، الساخرة، من دون أن يعني ذلك أن مصيره سيشابه مصير دي فينشي في الشهرة والاعتراف.

فعاليات

تُحيي فرقة **طبلة الست** حفلاً موسيقياً ثالث أيام عيد الفطر، الموافق ليوم الأربعاء، 4 أيار/ مايو القادم، وذلك عند الساعة الثامنة مساءً في «ساقية الصاوي» بالقاهرة. تتكوّن الفرقة، التي أسّستها **سُها محمد علي**، من عازفات يؤدّين أغانيَ تراثية مصرية، معتمدات على الآلات الإيقاعية غالباً.

يعود مهرجان **سينما فلسطين** في باريس، بدورته الثامنة، بين السادس والعشرين من أيار/ مايو والخامس من حزيران/ يونيو المقبلَيْن. تركّز دورة هذا العام على أعمال وتجارب عدد من المخرجات الفلسطينيات، كما تكرّم الأديب والروائي **غسّان كنفاني** (1936 ـ 1972). ولأول مرّة، ستمتد عروض المهرجان إلى مدينة مارسيليا الفرنسية ما بين السابع والتاسع من حزيران/ يونيو.

ضمن برنامجها الأسبوعيّ، تنظّم «مدينة الثقافة» في تونس العاصمة عدداً من العروض والندوات، من بينها عرضان يُقامان اليوم، هما **كلوزين بارتي** لفرقة **وشينغ ماشين** البلجيكية (عند التاسعة والنصف مساءً على «مسرح المبدعين الشباب»)، و**ربوخ** لـ **حاتم اللجمي** (العاشرة مساءً على «مسرح الأوبرا»).

حتّى التاسع من أيار/ مايو، يستمرّ في غاليري «كاف» ببيروت معرض **كنوز مؤطّرة** لـ **بول مرعي**، الذي افتُتح أوّل أمس. يُركّز الفنان اللبناني في أعماله على إبراز جمالية القبح بشكله المباشر دون الاستعانة بأبعاد التجريد أو الأساليب الرمزيّة، خاصّة مع اللوحات التي تصوّر علاقة الإنسان بالمكان.